

### في خرافات الأمم القديمة وذكر شئ من اعتقاداتهم

من تصفح تاريخ العالم القديم رأى أن جميع الناس على اختلاف مللهم وتباين تحملهم أجمعوا على إعتقاد الخرافات وتصديق المستحيلات وإقتنى البعض أثر البعض كأنهم أمة واحدة فوق الأرض لا يفرق بين دانيها وقاصيها ولا يفضل عابدها على عاصيها وإسترسل كل فريق منهم في الأوهام وما كان عليه إن اهتدي في طريقه أو هام وهاك طرفاً مما به أرجفوا وفيه خرفوا من ذلك أن المصريين كانوا ينسبون لكل واحد منهم طيفاً أو خيالاً أو طلاً يسمونه (قا) ومعناه عندهم القرين أو القرينة ويعتقدون أن الإنسان مادام على قيد الحياة سكن قرينه الأحجار والصخور والأخشاب وبقى بما فإذا مات إنتقل معه إلى قبره وسكن فيه ولازمه ملازمة الصفة لموصوفها وقال مسيرو كان القرين عندهم عبارة عن نتيجة حياة الإنسان في الدنيا فإذا مات سكن معه في رواق القبر المعد لإجتماع أهل الميت وأقاربه أيام الأعياد والمواسم أو سكن الأماكن المعدة لذبح القرابين المجاورة لمدفن صاحبه وزعموا أن عض السباع والوحوش والهوام يؤثر فيه كما أن لدغ العقارب أو نّس الأفاعي يميتها وسمها يجري في جسمه الوهمي كما يجري في جسم الأحياء ويعتريه الجوع والظمأ والشيخوخة والمهرم ثم يدركه الفناء وبالجملة يعتريه جميع ما يعتري الأحياء وكانوا يزعمون أن غذاءه دائماً من القرابين التي تقدم إلى الميت صاحبه بعد الدفن وأن صورة القرابين المرسومة على جدر المقابر تكفيه ألم الجوع فإن لم ير عليها رسم شيء ولم تبادر أهله بذبح القرابين خرج من القبر إلى الفلاة والطرق وأكل القاذورات والقمامات فإذا لم يجد ما يأكله مات لوقته جوعاً وعطشاً وكانوا يقولون إنه يأكل الجوع ويشرب العطش رغماً عنه وهي عبارة يصعب الوقوف على حقيقتها ولعلمهم يريدون بذلك أن الجوع والظمأ يدخلان جوفه رغماً عنه وقالوا أن الأغذية الدسمة تقويه والمشروبات المرطبة ترويه وقد أكثروا في نصوصهم من ذكر ذلك منها ما وجد مكتوباً بقبر (تتي) ونصه (ما كان تتى يخشى إلا الجوع ولم يأكله وما كان تتى يخشى إلا العطش ولم يشربه) والإشارة في ذلك إلى قرينه لا إلى شخصه وكانوا يكتبون الرقية والتعاويد على الأحجار ويجعلونها مع الميت في قبره لتقي طيفه أو قرينه ألم الجوع والظمأ منها (بعد أيها الجوع

عن تتي وحده عنه وإذهب إلى (نو) وارجع إلى محيط الملكوت ولا تدخل في جوفه لأنه شعبان وأنت أيها الظمأ أعرب عنه ولا تمسه لأن تتي مروى).

وبإمعان النظر يتضح أن بعض هذا الإعتقاد يطابق ما هو شائع الآن على لسان فريق من أهل هذا العصر إذ يعتقدون أن كل قتيل له خيال أو طيف يسمونه العفريت أو الساروخ ويقولون إن كل عفريت يخاف من الكلاب كما أنهم يرون صحة القرينة والقرين وأن الأمراض العصبية والأحوال التشنجية التي تصيب الأطفال ليست إلا نتيجة فعلهما بهم ويقولون إن دواءها الوحيد هو الرقية وتعليق التمام في عنق الطفل المصاب ولا جرم أن هذه الأوهام الفاسدة سرت إلينا من تلك الأمة تلقاها الأحفاد عن الأجداد قضية مسلمة بدون روية ولا تعقل.

ويقرب من ذلك ما كانت تدعيه عرب الجاهلية من وجود الطيف أو الخيال الذي يسمونه الهامة ويزعمون أن الإنسان إذا قتل ولم يؤخذ بثأره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره ويقول إسقوني إسقوني إلى أن يؤخذ بثأره وكانت طائفة منهم تزعم أن النفس طائر يخرج من جسم الإنسان إذا مات أو قتل يسمى الهامة ولا يزال متصوراً في صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشاً له وفي ذلك يقول شاعرهم

سلط الموت والمنون عليهم \* فلهم في صدى المقابر هام

ثم جاء الإسلام والعرب تقول بالهامة والهامة حتى قال النبي ﷺ (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر) وزعموا أن هذا الطائر يكون صغيراً وبكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد في الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون أن الهامة لا تنزل عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت أما الصفر المذكور في الحديث الشريف فهو حية تكون في بطن الإنسان إذا جاع عضت على شرسوفه وهذا أيضاً من خرافاتهم وفي القاموس الشرسوف كعصفور غضروف معلق بآخر كل ضلع وذكر مارييت باشا أن قدماء المصريين كانوا يضعون مع أمواتهم أكلاً وشرباً زاداً للسفر الطويل في الدار الآخرة وقال مسبرو أن أهل ليبيا قامت على فرعون (نخروفس) نفرقار وهددوا داخل المملكة المصرية فقام الملك لمكافحتهم وإصطف جند الفريقين وبينما هم على وشك القتال وإذا بالقمر خسف فخاف أهل ليبيا وظنوا أن القمر غضب عليهم فصالحوه وإنقادوا لأمره ولم يخرجوا عن طاعة المصريين مرة ثانية وهذا يقرب مما حكاه بعض المؤرخين من أن سيا كزار ملك الميديين تحارب مع آليات ملك الليديين

مدة خمسة أيام متوالية ولم يغلب أحد خصمه وفي اليوم السادس بينما هم في أشد القتال إذ رأوا الشمس إنكسفت إنكسافاً كلياً وتحول ضوء النهار إلى ظلام حالك ففرع الطرفان من هذه الحادثة المخيفة وكفا عن القتال وعقد أصلحا وزوج ملك لدا ابنته بإبن سبا كزار المدعو إستياج وجرح وزراء الدولتين أيديهما وشر بوادم بعضهما علامة على الإرتباط والتحالف حسب العوائد التي كانت جارية في تلك الأيام.

وفي المقرزي ما نصه ومن عجائبها (أي مصر) شعب البوقيرات بناحية أشمون من أرض الصعيد وهو شعب في جبل فيه صدع تأتيه البوقيرات في يوم من السنة فعرض أنفها على الصدع فكلما أدخل بوقير منه منقاره في الصدع مضى لسبيله فلا تزال تفعل ذلك حتى يلتقي الصدع على بوقير منها فيحبسه وتمضي كلها ولا يزال ذلك الذي يحبسه معلقاً حتى يتساقط ويتلاشى (راجع ذلك في الجزء الأول نمرة ٣١).

ومن خرافاتهم ما ذكره المؤرخون من أنهم كانوا يعبدون العجل أبيض مدة خمس وعشرين سنة فإن لم ينفق بالموت أخذه في مهرجان عظيم وأغرقوه في النيل ثم حنطوه ودفنوه في مدفن العجول المعروف بسرابيوم جهة سقارة وبليس أهل مصر على موته شعار الحداد والحزن حتى يجدون عجلاً غيره وقد قلنا فيما سلف أنهم كانوا يعبدون كثيراً من الحيوانات وغيرها وذكر كليمان الإسكندري في تاريخه أن الإنسان إذا دخل في أحدهما كل هذه المعبودات رأي كاهناً موقراً عابس الوجه يد نومنه وهو يترنم بالزجل المقدس وقصيد المدح ويرفع قليلاً من الستر فيرى خلفه هراً أو تمساحاً أو ثعباناً هائلاً أو حيواناً مفترساً يتمرغ على بساط أرجواني.

وروى المؤرخ بلوتاركة أنه سمع أن المصريين كانوا يقربون قرباناً من بني آدم إلى معبودهم أوزيريس فيأتون بالرجال في يوم معلوم من السنة ويحرقونهم أحياء في قرية الكاب (بمحافظة الحدود) ويذرون رمادهم في الهواء ويسموئهم التيفونيين وذكر ديودور الصقلي أنه سمع هذه الرواية بعينها وزاد عليها قوله بشرط أن تكون وجوههم كلون وجه تيفون (إله الشر) أعني شقر الوجوه ولما كان هذا اللون نادراً عند المصريين فلا جرم أن هذا القربان كان من الأجانب أما المؤرخ شمبليون فيجاءك فجدد هذا القول كلية وشد النكير على من قال به واستشهد بالآثار وإنه لم ير عليها شيئاً من هذا القبيل وعصد قوله بأن منطقة فلك البروج المصرية وتقاويم الأعياد والمواسم خالية من تعيين يوم هذا القربان وقال إن المؤرخ هيرودوت طعن على اليونان الذين أشاعوا أن

المصريين لما أرادوا ذبح هرقل الجبار ليجعلوه قريباً وتحقق من تصميمهم على ذلك قتل الحاضرين ونجا من الموت

إلى أن قال وأني أرتاب كل الريب في صحة هذا الإفتراء على المصريين الذين رفعوا للتمدن أعلى منار بين الأمم لكن إذا كان حصل هذا الأمر بأرض مصر فلا بد وأن يكون جرى على يد العمالقة الذين أغاروا عليها سيما وأنهم قالوا أن الملك أحميس الذي أجلاهم عنها أبطل ذبح الآدميين منها.

وكان المصريون يعتقدون أن الأرض سطح مستو رقيق طولها أعظم من عرضها قد طفت على (النو) أي الأقيانوس أو المحيط وأن السماء ممتدة عليها كسقف عظيم ثقيل من الحديد مركب من طبقتين والماء محصور بينهما وأن الطبقة السفلى فرشها وهي شفافة والعلبا أو العرش غطاؤه وجميع الكائنات تحته ولما كانت هذه الكتلة السماوية ثقيلة جداً ولا يمكن إمساكها في الجو ولا تعليقها في الفراغ إلا بالدعائم المتينة والعماد القوية جعلوا لها في رسمهم اسطوانات على شكل جذوع الأشجار ولها شعوب تخرج منها لتحملها وتقيها من السقوط على الأرض وتارة كانوا يرسمونها على شكل قبة عظيمة تحملها أربعة عمد أو إسطوانات أو يرسمون الأرض على صورة معبودهم (سيبو) وهو راقد على ظهره ورافع يديه ورجليه كأنها أربعة عمد تحمل المعبود (نوت) وهو السماء وإذا أرادوا بيان الطبقتين رسموا هذا المعبود الأخير كأنه شخصان راقدان فوق بعضهما محمولان على أربعة قوائم المعبود (سيبو) الراقد على ظهره وهو الأرض وكثيراً ما رسموا السماء على هيئة إنسان قائم فوق الأرض على يديه ورجليه كأنه سقف ممدود عليها وتحته سفينتا الشمس وهي تشرق وتغرب تجرها الآلهة وصورة الكواكب وأرواح الموتى (انظر الشكل الآتي)

- (أ) السماء نوت قائم فوق الأرض على يديه ورجليه كالسقف.
- (ب) الأرض سيبو تحمل السماء و بينهما كثير من المعبودات.
- (ج) الشمس رع تكون في غروبها على هيئة إنسان له جناح طائر.
- (د) الثعبان آف يحرس الشمس وهو فاغر فاه ليقبها في غروبها من كيد أعدائها.
- (هـ) السفينة اللدنية الحاملة لشمس تسبح في ماء القدرة وقت الغروب.
- (و) الأعوان الملكلفون بجر سفينة الشمس وقت الغروب.
- (ز) الشمس في مشرقها تحفها الآلهة ويسرون معها في سفينتها.

(ح) جنة الصالحين بعد الموت تكون في أعلى عليين وترى الشمس في مشرقها.

(ط) الروح (با) أتت لزيارة جنتها بعد الموت.

وكثير مثل هذه التصورات مرسوم على الآثار ولكن من الذي يهتدي إلى حل معماها وكانوا يقولون أن المعبود (شو) خلق جميع العالم وفصل السماء عن الأرض ورفعها في الفراغ على قدر ما استطاع أن يرفع يديه بما ثم حملها المعبود (سيو) الأرض على قوائمه وهي يداه ورجلاه وهذا يقرب مما قاله اليونانيون في خرافاتهم من أن أحد المردة المعروف عندهم بإسم أطلس حرم الفتنة وأضرم نار الشر وأغرى التيتانيين على حرب الآلهة ونبذ طاعتهم ظهرياً ولما علموا بما كان منه قضوا عليه أن يجنوا على ركبتيه ويحمل السماء على عاتقه إلى أبد الأبدين ودهر الدهرين جزاء لما كسبت يداه.

وكانوا يزعمون أن الشمس والقمر والنجوم والسيارة والثابتة المنيرة آلهة بعضها راسب في قاع المحيط السماوي وبعضها طاف على وجهه وبعضها سابح فيه وبعضها راكب في مدينة يسير بها كل يوم من المشرق إلى المغرب وأن جميع الأجرام السماوية تحت رئاسة الشمس ويرى أحياناً صورة هذه الكواكب في سنن تسبح في الأفيانوس الأعلى خلف سفينة أوزيريس وكثيراً ما كانوا يسمونها في صورة مصابيح معلقة في قبة السماء توقدها القدرة في كل ليلة لتضيء على أهل الأرض وما أحسن قول الشاعر في هذا المعنى

والمشترى يتلو الصباح كأنه عريان يمشي في الدجى بسراج

وتارة كانوا يرسمون الماء على شكل وادي مصر يشقه (النو) وقد مثلوه بالنيل وحصروه مثلته بين ساحلين ممتدين من الجنوب إلى الشمالا وقسموا السماء إلى أقسام أو مديريات كأقسام مصر والشمس تطوف عليهم كل يوم في سيرها من المشرق إلى المغرب وتدخل عند المساء في فتحة جبل مثلوه بجبل العرابة المدفونة أو الخرابة المدفونة التي بمديرية جرجا بإقليم الصعيد فإذا نزلت وغارت في جوف الأرض تجرى في سرداب يتخلله مغارات وكهوف واسعة ذات أرض فسيحة مسكونة بالعالم السفلي فتضيء عليهم بنورها ثم تغادروهم وتخترق الظلام وتقطع المسافات الطويلة والعقبات الهائلة والمهالك الصعبة وهي تؤم المشرق إلى أن تظهر في الأفق وتنجو من شر الظلمات وأخطار العقبات فتتبر على أهل الأرض مرة ثانية وهكذا في كل يوم.

وقد سبق ذكر ما قالوه في الروح من أنها على شكل باشق أو حمامة لها رأس إنسان تطير في

ملكوت العالم وتعود لزيارة جنة صاحبها متى أرادت ولذا جعلوا لها في بعض المقابر رواقاً أو مخدعاً بجوار الميت لتستريح فيه أو لتسكنه متى قصدت زيارته وأغلب نصوص الأهرام تبيننا عن الروح وما آل إليه أمرها في الدار الآخرة وكانوا يعتقدون أنها مخيرة في صعودها إلى السماء بأي طريقة شاءت فتارة ترقى سلمًا من مغرب الأرض إلى السماء حيث مساكن الآلهة غير أن هذه الطريقة ليست متيسرة لكل روح أرادت الصعود إليها لأنها تضطر أولاً إلى الوقوف بين يدي هاتور الموكل بخفارة السلم وأنها تتلو عليه العزائم وترقيه بالرقية الخاصة لذلك أو يكون معها الطلاسم والتعاويذ لينبئا قدميها بين يديه ومتى فعلت ذلك أخذ يحاسبها على ما أجرمته في دينها ودينها فإن كانت تقية وظهرت مبرتها أباح لها الصعود عليه هنالك يحيط بها ثلاثة من الآلهة يتكفلون بحفظها من شر المهالك والمخاوف ومتى وصلت إلى السماء أوقفوها بين يدي المعبود (رع) أي الشمس فإن لم ترض بالصعود إلى السماء على هذه الطريقة وكانت طاهرة فلها أن تتشكل في هيئة باشق له جناحان قويان يوصلانها إلى السماء بدون واسطة وتقدمها الآلهة إلى الشمس كما امرت وإلا فلها أن تذهب بعد دفن صاحبها إلى جبل العراية المدفونة وهناك تلوذ بالشمس وقت غروبها وتدخل في كتفها في مساء اليوم نفسه الذي دفن فيه صاحبها وتحترق معها السرداب والكهوف وتجوب الغسق والظلام وتقطع العقبات والمهالك وتقاسي معها ما تقاسيه من الشدائد فتصير كأحد حاشيتها ومتى أتمت هذه الدورة السفلية معها وارتفعت في الصباح إلى السماء صارت في حكم الشمس نفسها وتصير أعداؤها وغداؤها وغداؤها غداها وهناؤها هناؤها ولها ما لها وعليها ما عليها ولها أن تترك الشمس وباقي الآلهة وتبسط إلى الأرض متى شاءت لزيارة جسم صاحبها المقبور بشرط أنها إذا أرادت العودة إلى السماء لا تسلك إلا طريقها الأول وعلى كل حال فالروح بعد خروجها من جسم صاحبها لم تنل هذه الدرجة العليا إلا إذا كانت طاهرة زكية تقية بارة وأيدت براءتها يوم الحساب بالبراهين الدامغة والأدلة الساطعة كما أن كثرة القرابين التي تقدم للمرء بعد موته تلزم الآلهة بالتجاوز عن سيئاته وغض الطرف عن مساويه وهفواته وتوجب عليهم قبول روحه في أعلى عِلين وتكون معهم أينما كانوا (راجع الباب الثاني عشر) وكل من تأمل في نصوص أدعيتهم التي كتبوها على الآثار على أنها أوامر مشددة على معبوداتهم بإجابة طلبهم ليس فيها إستغاثات ولا إبتهالات بل جميعها صيغ في حكم التنبيه والطلب والأوامر مجردة عن الرجاء والخضوع عارية عن التدلل والخشوع غير أن بعض علماء الآثار إنتحل لهم عن ذلك معذرة وقال أن هذه الأدعية كتبت في أزمتهم القديمة جدًا حينما كان

الناس على فطرتهم الأصلية وجبلتهم الأولية لا يميزون بين الأمر والإلتماس والدعاء و بقيت هذه الصيغ محفوظة في صدور كهنتهم يتلقاها كل جيل من سلف وتوارثها الأبناء عن الآباء ويتبركون بتلاوتها وهم جازمون بسرعة إجابتها مجتمعون على بركتها لأنها من البقيات الصالحات فلذا مكثت على حالها لم تمسها يدًا لتغيير اه مسبرو ومن المستغربات أني رأيت بالصعيد سنة ١٨٩٢ مسيحية كثيرًا من أجسام الموت المخطئة وعلى كل واحد هراوة عظيمة من جريد النخل مربوطة على صدره وقدميه فخلتها عضادة

لحفظ جسمه من الإلتهاء والتقوس أو الإلتواء ولم أهتم للمراد من وضعها مع الميت وربطها بهذه الحالة حتى عثرت في بعض كتب العلامة مبرو على توضيح ذلك حيث قال ورأيت بالصعيد مع كل ميت عكارًا وفي رجليه نعالًا من الجلد ليستعين بهما على وعناء السفر الطويل وقد ظهر للباحثين من علماء الآثار أن أغلب الآلهة القديمة المصرية تبدلت بغيرها ولا يعلم السبب إلى الآن فقال بعضهم أنهم ماتوا وإنطوت أخبارهم وجاء غيرهم من بعدهم وقال آخرون إنهم لم يموتوا ولكن تغيرت وظائفهم فتغيرت أسماءهم تبعًا لذلك اه ومما يؤيد ما قلناه قلة وجود إسم أوزيريس وغيره من الآلهة على آثار العائلة الرابعة والخامسة ثم أخذ في الظهور والكنزة مدة العائلة الثامنة عشرة ثم صار شائعًا على الآثار في عهد العائلة العشرين وما بعدها إلى آخر أيام دولة البطالمة بل إلى عصر دولة الروم العيسوية بمصر ومازال مرعبًا معبودًا إلى أن أخذ أمر هذه الديانة في الإنحطاط وصار عابدًا لصنم عرضة للقتل والنكال أعني بعد دخول دين المسيح عليه السلام بمصر ولما إنحط شأن أوزيريس وغيره من هذه المعبودات كسر أحد عساكر الرومان صنم الشمس الذي هو أكبر معبوداتهم وأخرج منه عدة من الفيران مع ما رسب فيه من فضلاتها التي هي أشد خبثًا من بول الثعلبان ولم يحصل من كسره على هذه الحالة أدنى فتنة لضعف دين الصابئة ولو كان كسر ذلك الصنم قبل ذلك الزمان لقامت الفتن واشتدت الخن كما حصل أيام دولة البطالسة فإن أحد عساكر رومة قتل هرا مقدسًا خطأ فقامت الأهالي على قدم وساق وقبضوا على الجندي وأذاقوه العذاب الأليم ثم قطعوه إربا ولم يصغوا لشفاعة ملكهم فيه ولم يكتروا بسطوة رومة التي كانت سيدة الممالك ولها الشهرة وبعد الصيت وبتكسير الأصنام المصرية تركت عبادتها بالكليية وتلاشت الأوهام والوساوس الشيطانية سيما أمام الملك أركادايوس بن الملك تيودوسيوس الأكبر الذي حكم سنة ٢٢٧ قبل الهجرة النبوية أعني سنة ٣٩٥ بعد ميلاد المسيح وبذلك إسودت الهياكل وإغربت بالتراب فصارت مهجورة لا يدخلها عابد ولا يومي

إليها راعك وساجد وباجملة فلم تستفد مصر من دولة الرومان السفلى وهي دولة الروم العيسوية بمدينة القسطنطينية إلا إرشادها في أيامها الأخيرة إلى دين عيسى بن مريم عليه السلام وإنقاذها من دين الصابئة وهدم معابد الصم والوثن وتخليصها من خرافات الجاهلية.

وربما توهم القارئ أن مصر التي إنفردت في زمانها بالذكاء والحصافة ونشر العلوم وتدوين المعارف قد إنفردت أيضاً بالخرافات وتعميم الضلالات وتصديق الأكاذيب والترهات فدفعاً لهذا الوهم أذكر فصلاً صغيراً في هذا المعنى لكل دولة كانت عظيمة بين العالم العظيم القديم وإشتهرت بالسطوة وشدة البأس أو بالرفاهية وحسن السياسة الأهلية حتى يندفع الاعتراض ويعلم القارئ أن جميع تلك الأمم كانت ذرية بعضها من بعض فأقول.

كانت العرب زمن الجاهلية تستعمل الأزلام وهي سهام كانت لهم مكتوب على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهي ربي فإذا أراد الرجل السفر أو أمراً يهتم به ضرب ثلاث القداح فإذا خرج الأمر مضى لحاجته وإذا خرج النهي لم يمض ومنها وأد البنات أي دفنهن أحياء فكان الرجل منهم إذا رزق أنثى وأداه وإذا بشر بما ضاق صدره وأسود وجهه وهو قوله تعالى (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) وكانوا يتدون بناتهم بعد الولادة بأن يحفر الرجل حفرة في الجبل ومتى جاء المخاض إلى زوجته أخذها إليها فإن ولدت أنثى وأداه فيها وإن ولدت ذكراً عاد به إلى داره وتارة كان يترك البنت إلى قرب المراهقة فيخبر أمها أنه يريد أن يذهب بها إلى بعض أهلها فتلبسها أحسن ما عندها ويأخذها أبوها إلى الجبل ويرميها في الحفرة التي أعدها لها ويهيل عليها التراب ويرجع وإن لم يكن قصده وأداه ألبسها من صغرها مدرعة من شعر وتركها ترعى الإبل.

ومنها الرتيمة وهي ناقة كانوا يعقلونها على قبر من مات منهم ويسدون عينيها ويتركونها بلا أكل وشرب حتى تموت يزعمون أن الميت يركبها يوم البعث أما التعمية فكان الرجل إذا بلغت إبله ألقاً قلع عين الفحل يقولون إن ذلك يدفع عنها العين فإذا زادت عن الألف فقأ عينه الأخرى أما رمي السن فكانوا يزعمون أن الغلام إذا ثغر فرمى سنته في عين الشمس بسبابته وإبهامه وقال أبديني بأحسن منها فإنه يأمن على أسنانه من العوج والفالج وهذا الزعم مستعمل إلى الآن عندنا ويزعمون أن الرجل إذا قدم قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونحق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها وأن الرجل إذا ضل فقلب ثيابه إهتدى إلى الطريق.

وكانت البقرة إذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون أن الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب وكانوا يقولون أن من علق عليه كعب الأرنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك أن الجن تحرب من الأرنب لأنها تحيض وليست من مطايا الجن وكانوا يزعمون أن الناقة إذا نفرت وذكر إسم أمها فأما تسكن ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة وقد بقي شيء من هذه التصورات في صدر الإسلام عند جهلة القوم من ذلك أن بعضهم كان يعتقد أن علياً رضي الله تعالى عنه لم يمت وأنه في السحاب والرعد صوته والبرق في سوطه وقالوا مثله في محمد بن الحنفية وأنه في جبل رضوى من أرض الحجاز وقال شاعرهم فيه

ألا أن الأئمة من قريش	ولاية الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه	هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر	وسبط غيته كبرياء
وسبط لا يزوق الموت حتى	يقود الجبش يقدمه اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمناً	برضوى عنده غسل وماء

أما اليونان فحدث عن خرافاتهم ولا حرج منها أنهم كانوا يزعمون أن طير (الفنكس) ولعله السمندل كان يأتي من الغرب مرة واحدة في كل خمسمائة سنة ويدخل في معبد (رع) الشمس ويخفق فيه بجناحيه ثم يذهب وقال بعضهم إنه كان يأتي حاملاً جثة أبيه مضمغة بالمر وقال هيرودوت إنه كان عندما يعثره الشيخوخة والهرم يضم ناراً في حطب ذي رائحة زكية ويضع عليه كثيراً من المر ثم ينزل فيها فيحترق و يصير رماداً فيخرج منه فنكس آخر صغير يطير صوب المشرق ومنها بركان الذي حذفه أبوه جويتير (كوكب المشتري) من السماء لكونه ولد شنيع المنظر مموحاً فإنكسرت إحدى رجليه حالة سقوطه فصار أعرج جعله أبوه رئيساً على الحدادين الذين يعملون الصواعق وقالوا إن باخوس ولد قبل أوانه فأدخله أبوه جويتير في فخذه ليكمل مدة الحمل الذي كان يمكنها في بطن أمه ومنها بركسته الذي كان يمدد الغرباء على فراشه فات زادت أقدامهم عنه قطعها ومنها غزوة الأرغوط في البحر إلى بلاد كلمغيدته لنهب صوف الذهب ومنها يونون التي أرضعت هرقل الجبار حينما كان طفلاً فطار من لبنها شيء في السماء فنشأ عنه الجرة المعروفة بطريق اللبانة ومنها أن هرقل هو الذي قطع الحبل وصنع البوغاز المعروف الآن باسم بوغاز جبل طارق ويعرف قديماً عندهم بإسم أعمدة هرقل ومنها تيزا الجبار ابن ملك أنيكا وذهابه إلى جزيرة كريت ودخوله في التيه على الغول المسمى مينوطور الذي كان

على شكل إنسان وله رأس طور وقتله إياه وزواجه بنت مينوس ملك هذه الجزيرة مقابلة ما فعلته معه من الجميل وغير ذلك مما يطول ذكره ويميل القارئ منه (راجع صحيفة ٢٢٧ من كتاب بداية القدماء وهداية الحكماء).

وكما أن الخرافات كانت ضاربة أطنابها عند اليونان وغيرهم كانت مستوطنة أيضاً عند الأشوريين والبابليين من ذلك ما نقله المؤرخون في خبر الملكة سميراميس وملخصه أنها فتحت الفتوحات العظيمة وجالت بجيولها ورجلها في جميع الممالك التي بقسم آسيا الصغرى واستولت عليها وضممتها إلى بلادها حتى جعلت حدودها بلاد الهند ثم دخلت مصر وبلاد السودان واستولت عليهما وبعد ذلك سولت لها نفسها أن تخضع بلاد الهند فتوجهت إليها بالأفيال والرجال والتحمت في القتال مع ملكها المدعو إستراتوباتيس وانتهى الأمر أخيراً باخزامها وعودتها خائبة إلى بلادها وهي التي خرقت الجمال وأجرت الأنهار العظيمة إلى الأراضي القحلة التي كانت في بلادها وبنيت القلاع والحصون والمعازل وشحنتها بالرجال والمقاتلة ومهدت الطرق في الجبال الصعبة المرتقى التي ما كانت الوحوش الضاربة تستطيع الوصول إليها ثم بلغها أن ابنها المدعو نيباس إئتمر بما وأراد هلاكها فتنازلت له عن الملك وتحولت إلى حمامة وطارت.

أما الفينيقيون أو الكنعانيون فكانوا أدهى وأمر لأنهم كانوا يفرعون عند الشدائد إلى معبودهم المدعو (بعل ملوخ) المتخذ من الصفر (التوج أو البرونز) على شكل إنسان جالس ماد ذراعيه ويوقدون تحتها ناراً حتى يتلظيا ثم يلقون أولادهم عليهما فيموتون في الحال وقس على ذلك.

وأما العجم فيكفينا منهم زواج الرجل أخته وإباحة المحصنات من نسائهم لكل إنسان راجع تاريخ (زردهشت) وذكر هيرودوت أن إكزسيس ملك العجم لما قصد حرب اليونان عبي جيشاً كثيراً وتوجه به لقتالهم وبينما هم سائرون في البحر لذهبت عليهم عاصفة من الريح فإنكسرت منهم سفينة ذات ثلاث طبقات فغضب إكزسيس المذكور وضرب البحر بالسوط وأمر بقتل الملاحين الذين كانوا بتلك السفينة وقطع جبل أتوس (الواقع في نهاية شبه جزيرة سالونيك بأرض الروم إيلى في تركية أوربا) لأجل تسليك طريق لسفنه ولو أطعنا القلم لكتبنا مجلدات في هذه الخرافات ولكن حسينا ما أثبتناه في هذا المختصر.